مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد 07 العدد 02 جوان 2024 ص ص 144ـ155
ر س ع و (ISSN): 2602ـ618X / ر س ع و إ (E-ISSN): 2710ـ8031

مقاربة ابن خلدون في دراسة الفقه الإسلامي وأصوله

The approach of Ibn Khaldoun to the study of Islamic jurisprudence and its principles

إبراهيم ريغي ♦

مخبر الدراسات والبحوث الإسلامية والقانونية والاقتصاد الإسلامي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة، ibrahimrighi@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/02/15 تاريخ القبول: 2024/02/12 تاريخ النشر: 2024/06/30

الملخص باللغة العربية: تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن جانب مختلف من الفكر الخلدوني، وهو الجانب المتعلق بدراسة ابن خلدون لعلم الفقه وأصوله، وللكشف عن مقاربته في ذلك كان لابد أولاً من تسليط الضوء على نشأته وتكوينه الفقهي ثم الخوض في تفاصيل هذه المقاربة في كتابه المقدمة التي هي الكتاب الخلدوني الوحيد الموجود بين يدينا والذي تناول فيه هذين العلمين. وتكشف هذه الدراسة عن النشأة العلمية لابن خلدون وتكوينه الفقهي، حيث بدأ بطلب العلم منذ الصغر وتعلم الفقه على يد فقهاء بلده وعصره، وألف كتاباً في أصول الفقه وهو شرح لأرجوزة للسان الدين بن الخطيب، ورغم كل هذا إلا أن ابن خلدون لم يبلغ درجة التخصص في الفقه والأصول، وإنما اشتغل بالتاريخ والسياسة والعمران.

كما تكشف هذه الدراسة أن ابن خلدون قد تناول الفقه وأصوله بطريقة مختلفة عن المعهود في عصره، وذلك لأنه نظر إلى الفقه وأصوله بمنظور التاريخ والجغرافيا والعمران، موظفاً أداوت الوصف والتحليل والنقد، فقد تناول الإطار العام لعلمي الفقه وأصوله، من التعريف بهما وبيان المصادر والمذاهب ومناهج التأليف فيهما، وركز على تاريخ هذه العلوم وانتشار مدارسها جغرافياً، فكانت طريقته بديعة وجديرة بالدراسة.

الكلمات المفتاحية: ابن خلدون؛ فقه إسلامي؛ أصول الفقه؛ مقدمة ابن خلدون.

Abstract: This study aims to uncover a different aspect of Ibn Khaldun's thought, specifically his study of Islamic jurisprudence (fiqh) and its principles (usul). To explore his approach, it was necessary to shed light on his upbringing and formation in the field

♦ المؤلف المرسل

of jurisprudence. The study delves into the details of his approach as outlined in his book "Al-Muqaddimah," which is the only Khaldunian work available to us addressing these two fields. The research reveals Ibn Khaldun's scholarly upbringing and his initiation into jurisprudential knowledge. He began seeking knowledge from a young age, studying jurisprudence under the guidance of scholars in his country and era. Despite writing a book on the principles of jurisprudence, a commentary on a poem by Lisan Al-Din Ibn Al-Khatib, Ibn Khaldun did not reach the level of specialization in jurisprudence and its principles. Instead, he focused on history, politics, and urbanization.

Furthermore, the study unveils that Ibn Khaldun approached jurisprudence and its principles in a manner distinct from the conventions of his time. He viewed jurisprudence and its principles through the lenses of history, geography, and urbanization, employing tools of description, analysis, and criticism. His unique perspective encompassed the general framework of these sciences, defining them, elucidating their sources, doctrines, and methodologies. He emphasized the historical development of these sciences and their geographical spread. So his approach was innovative and worthy of study.

Keywords: Ibn Khaldoun; Islamic jurisprudence; Principles of Islamic jurisprudence; Ibn Khaldoun’s Muqaddima.

مقدمة:

كانت ومازالت مقدمة ابن خلدون تستثير همم الباحثين من مختلف التخصصات نظراً لطبيعتها فهي موسوعة معرفية تناول فيها ابن خلدون مختلف المجالات العلمية الموجودة في عصره من عمران وتاريخ وسياسة وعلوم عقلية وتجريبية وشرعية، وكل هذا يفسر تنوع الدراسات حول هذه المقدمة، وفي هذه الورقة أحاول أن أدرس جانباً مختلفاً عن المألوف ألا وهو كيفية تناول ابن خلدون لعلم الفقه وأصوله.

ومن هنا تتمحور إشكالية هذه الدراسة حول علاقة ابن خلدون بِعِلْمَي الفقه والأصول، وكيف تناولهما في مقدمته؟ وكيف كانت نظرته لهذين العلمين؟ هل درسهما مثلما هو موجود في مقررات الفقه والأُصول أم أن تخصصه وصنعته أثرت عليه وجعلته ينظر إليهما من منظور مختلف؟

ويهدف هذا البحث إلى الإجابة عن هذه التساؤلات، والكشف عن جوانب من حياة ابن خلدون العلمية، في تكوينه العلمي الفقهي ومدى احتكاكه بالفقهاء، فقد اشتهر ابن خلدون بكونه وزيراً وباحثاً في الاجتماع والعمران والسياسة والتاريخ أكثر من كونه فقيهاً قاضياً باحثاً في مسائل الفقه والأصول وهو الجانب الذي ستكشف عنه هذه الدراسة.

ولتحقيق هذه الأهداف كان لابد من دراسة الموضوع بتدرج انطلاقاً من دراسة التكوين الفقهي لابن خلدون ببيان شيوخه وتلاميذه وانتاجه العلمي في هذا المجال وشهادات العلماء له، ثم بعد ذلك دراسة أهم ملامح مقاربته في تناول الفقه والأصول في مقدمته.

1- أساتذة ابن خلدون في الفقه والأصول:

لقد بدأ ابن خلدون بدراسة الفقه والأصول مبكراً، حيث نشأ في أسرة علمية فكان والده محمد أبو بكر قد تكوَّن تكويناً فقهياً عند الفقيه أبي عبد الله الزبيدي، أما ابن خلدون فقد بدأ بحفظ القرآن وأتقن القراءات السبع، ثم درس الفقه عند أبي عبد الله بن بُرَّال وكان من جملة ما درس عنده: مختصر ابن الحاجب الفرعي (جامع الأمهات) في الفقه المالكي لكنه لم يكمل حفظه[1]، و يبدو أنه لم يكن مهتماً بالمختصرات بل صرح في مقدمته بنقد هذه المختصرات واعتبرها من مفسدات التعليم[2]. كما حضر ابن خلدون لمجالس الفقهاء والأصوليين الكبار الذين عاصرهم، ومن أهمهم:

أ. أبو عبد الله محمد الآبلي:

وهو أستاذ ابن خلدون في العلوم العقلية والشرعية، ولما قدم الآبلي إلى تونس استغل ابن خلدون الفرصة فلازمه وتعلم على يده مختلف العلوم كأصول الدين وأصول الفقه والمنطق قال ابن خلدون عنه:" ولما قدم على تونس... لزمته، وأخذت عنه الأصلين، والمنطق، وسائر الفنون الحكمية، والتعليمية، وكان رحمه الله يشهد لي بالتبريز في ذلك"[3]، وهذه الشهادة من الآبلي تدل على مدى تشبع ابن خلدون بالمادة الأصولية والمنطقية والكلامية وهذا ما نلمسه من خلال أسلوبه في كتابة مقدمته فهو

(1) عبد الرحمان ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، تحقيق: محمد بن تاويت الطَّنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425 هـ /2004 م، ص37.

(2)عبد الرحمان ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ط1، 1424هـ /2004م، ص605.

(3) رحلة ابن خلدون، ص40-41.

يستخدم لغة الأصوليين والمناطقة في كثير من المواضع بل حتى تبويب كتابه كان منهجياً على طريقة المتكلمين حيث قسم كتابه إلى فصول وأبواب ومقدمات.

ب. ابن عبد السلام التونسي:

وهو من أشهر فقهاء المالكية وقاضي الجماعة بتونس، ذكر ابن خلدون أنه لازمه وحضر مجالسه واستفاد منها حيث درس على يده موطأ الإمام مالك بسنده العالي[4]، وهذا من شأنه أن يترك بصمة فقهية على فكر ابن خلدون.

جـ أبو القاسم محمد القصير:

وهو من الذين تفقه ابن خلدون على يدهم، حيث قرأ عليه تهذيب المدونة لأبي سعيد البرادعي في الفقه المالكي، قال ابن خلدون:" وأبو القاسم محمد القصير: قرأت عليه كتاب التَّهذيب لأبي سعيد البرادعي مختصر المدوَّنة...وتفقَّهت عليه"[5].

د. أبو عبد الله شمس الدين الوادي آشي:

كما لازم ابن خلدون إمام المحدثين بتونس شمس الدين الوادي آشي، ودرس على يده عدة كتب في الحديث والفقه منها الموطأ كاملاً وأجازه إجازة عامة، قال ابن خلدون:" ولازمتُ أيضاً مجلس إمام المحدثين بتونس شمس الدين أبي عبد الله محمد بن جابر بن سلطان القَيْسي الوادياشي، صاحب الرحلتين... وسمعت عليه كتاب الموطأ من أوله إلى آخره...وناولني كتباً كثيرة في العربية والفقه، وأجازني إجازة عامة"[6].

هـ. أبو عبد الله المقري التلمساني الجد:

وقد عده ابن خلدون من شيوخه فتارة يسميه "شيخنا" وتارة "صاحبنا"، ويحتمل أن يكون قد لقيه في تونس، أما لقاؤهما بفاس فهو أمر أكيد فقد كان كلاهما أصحاب مناصب عالية في الدولة المرينة، ابن خلدون هو الوزير والمقري هو قاضي الجماعة، فكانا يجتمعان في مجلس واحد[7].

---

(4) رحلة ابن خلدون، ص40.

(5) رحلة ابن خلدون، ص39.

(6) رحلة ابن خلدون، ص38-39.

(7) عبد الرحمان ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: تحقيق:خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط 2000م/1421هـ، ج7، ص534. و رحلة ابن خلدون، ص67-68. و نفح الطيب: المقري الحفيد، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1997م. ج5، ص341.

و. أبو عبد الله الشريف التلمساني:

كان الشريف التلمساني من أبرز أساتذة ابن خلدون، وصفه هذا الأخير بأنه:"فارس المعقول والمنقول وصاحب الفروع والأصول"[8]، وكانت بينهما علاقة علمية وشخصية قوية لدرجة أن الشريف التلمساني سمى ابنه "عبد الرحمن" نسبة لابن خلدون فقد صادف أن بات عنده بتلمسان فولد له ولد في ذلك اليوم فسماه على اسمه عبد الرحمان[9]، و عبد الرحمان هذا فيما بعد أصبح مشهوراً بعلمه شهرة تضاهي شهرة أبيه، كيف لا وهو تلميذ أبيه وأحد أفراد عائلة الشريف التلمساني الشهيرة بتلمسان.

2- تلاميذ ابن خلدون في الفقه والأصول:

وثقت لنا كتب التراجم وجود تلاميذ لابن خلدون في الفقه والأصول، لكن عددهم قليل جداً، اذكر مثالين وهما:

أ. محمد بن أحمد الوانوغي:

الذي درس على يد ابن خلدون الحساب والهندسة وأصول الفقه والعقيدة والمنطق[10]، وهذا ليس بغريب لأن ابن خلدون مُجاز إجازة عامة من المحدث الوادي آشي، بالإضافة إلى شهادة الآبلي له بالبروز في أصول الفقه وأصول الدين كما سبق ذكره.

ب. شمس الدين بن عمار:

وهو من الملازمين لابن خلدون، وذكر المترجمون بأنه أخذ الفقه والأصول عنه، وناب عنه في القضاء[11].

ووجود تلاميذ لابن خلدون في الفقه والأصول يدل على تمكنه في هذين العلمين، لكن هذا لا يعني أنه بمنزلة الفقهاء المتخصصين البارزين في زمانه كابن عبد السلام والمقري الجد و ابن عرفة و غيرهم من الفقهاء المعاصرين له، فقد كانت اهتمامات ابن خلدون منصبة حول التاريخ وعلم العمران والسياسة وهو ما تدل عليه مؤلفاته التي اشتهرت.

---

(8) تاريخ ابن خلدون: ج7، ص536.و رحلة ابن خلدون، ص69.

(9)أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ليبيا، ط1، 1989م.ص482.

(10) أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص485.

(11) أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص488.

3- مؤلفات ابن خلدون في الفقه والأصول:

لم يُعرف عن ابن خلدون اهتمامه بالتأليف في مجال الفقه والأصول سوى رسالة واحدة شرح فيها "رجز في أصول الفقه" للسان الدين ابن الخطيب، وهذا ما ذكره لسان الدين نفسه في كتابه "الإحاطة في أخبار غرناطة" حيث قال عن ابن خلدون:" وشرع في هذه الأيام في شرح الرّجز الصادر عني في أصول الفقه، بشيء لا غاية وراءه في الكمال"[12]، لكن يبدو أن هذا الشرح مفقود ويا ليته كان موجوداً ليُعرّفنا على منهج ابن خلدون في التأليف الأصولي خاصة مع شهادة ابن الخطيب بأنه شرحٌ غاية في الكمال.

هذا في أصول الفقه أما علم الفقه فلم يُعرف لابن خلدون أي مصنف فقهي حسب المصادر المتوافرة.

4- شهادات العلماء لابن خلدون في مجال الفقه والأصول:

من العلماء من شهد لابن خلدون بالتمكن في علمي الفقه والأصول، ومنهم من شهد بضُعفه في هذا المجال، والتفصيل كما يأتي:

أ. شهادة أساتذته له وإجازتهم:

سبق وأن ذكرت بأن كلا من الآبلي والوادي آشي أجازا ابن خلدون، فالأول أجازه في أصول الفقه وأصول الدين والمنطق والثاني أجازه إجازة عامة بما فيها الفقه[13].

ب. وصفه بالفقيه:

كان لسان الدين ابن الخطيب يصف ابن خلدون بالفقيه الرئيس من خلال مراسلاته[14].

جـ وصفه بالضعف في الفقه رغم توليه منصب القضاء:

وفي المقابل نجد من العلماء من شهد لابن خلدون بالضعف في العلوم الشرعية فقد سئل الركراكي عن ابن خلدون فقال:"عري عن العلوم الشرعية، له معرفة بالعلوم العقلية،

(12) لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م، ج3، ص386.

(13) رحلة ابن خلدون، ص39 و 41.

(14) للإطلاع على بعض هذه المراسلات يُنظر: الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين ابن الخطيب، ج2، ص195/ وج4، ص516.

من غير تقدم فيها، ولكن محاضرته إليها المنتهى"[15]. كما ذكر ابن حجر أن علماء المغرب تعجبوا من تولي ابن خلدون منصب القضاء في مصر لدرجة أنهم وصفوا المصريين بقلة المعرفة، ولدرجة أن الفقيه ابن عرفة التونسي قال: "كنا نعد خطة القضاء أعظم المناصب فلما بلغنا أن ابن خلدون ولي القضاء، عددناها بالضد من ذلك"[16].

فهذه الشهادات إذا سلمنا بها فهي تدل على أن ابن خلدون ليس بتلك القوة في الفقه والأصول مقارنة بقوته في العقليات وفي المحاضرة والتأليف، كما هو ملاحظ في كل الكتب التي عرّفت به لم تصفه بالفقيه أو الأصولي سوى ما سبق ذكره عن لسان الدين بن الخطيب.

وخلاصة القول أن ابن خلدون تكوّن في الفقه والأصول ودرسهما على يد شيوخه الفقهاء، لكنه لم يتخصص فيهما وتوجه إلى تخصصات أخرى من سياسة وتاريخ وعمران وكل ما يحتاجه في منصبه كاتباً و وزيراً للدولة، ولتأكيد ذلك نحتاج لدراسة أهم ملامح مقاربة ابن خلدون في تناول الفقه والأصول في مقدمته.

5- الملامح العامة لمقاربة ابن خلدون في تناول الفقه والأصول في مقدمته:

المقدمة هي الكتاب الخلدوني الوحيد الموجود الذي درس فيه ابن خلدون عِلْمَيْ الفقه والأصول، وقد كانت دراسته بمثابة مدخل لهذين العلمين، فاعتمد على طريقة منهجية في دراسة مختلف العلوم الموجودة في عصره بما فيها الفقه وأصوله، وقد خصص باباً كاملاً في مقدمته يتحدث فيه عن مختلف العلوم بطريقة فريدة ونادرة، فقد قام بدراسة هذه العلوم ببيان إطارها العام مركِزاً على مفهومها ومدارسها ومناهج التأليف فيها وتاريخها مع عدم إغفال الجانب الجغرافي ومناطق انتشارها وازدهارها، كل هذا بمنهجية علمية رصينة، فقد اتبع منهجاً تحليلياً وتاريخياً يوضح أهم مقومات هذه العلوم، وكانت علوم الفقه والأصول والفرائض وعلم الخلاف من ضمن العلوم التي درسها بهذا الشكل، مبيّنا تعريفها وتاريخها وأهم مؤلفاتها ومناهجها ومدارسها ومذاهبها كما تناول ابن خلدون بعض مسائل الفقه والأصول متفرقة في أبواب أخرى من مقدمته، وهذه الطريقة غير معهودة في ذلك العصر بل هي من إبداعات ابن خلدون.

---

(15) ابن حجر العسقلاني: رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1418 هـ/1998 م، ص234-335.

(16) ابن حجر العسقلاني: رفع الإصر عن قضاة مصر، ص335.

وبعد دراسة كل ما كتبه ابن خلدون في الموضوع يمكن استخلاص الخصائص العامة لمنهجه في التطرق لمسائل الفقه والأصول، فقد ظهر جلياً اعتماد ابن خلدون على الوصف والتحليل والنقد وتوظيف التاريخ والجغرافيا والعمران في مسائل الفقه والأصول، بطريقة مبتكرة وغير مسبوقة وغير مألوفة في عصره، تعطي صورة واقعية عن حال علمي الفقه والأصول في عصر ابن خلدون وكيفية تطورهما، وتفصيل هذه الخصائص فيما يلي:

أ. استعمال ابن خلدون للتحليل والنقد:

لم يكتفِ ابن خلدون بسرد المعلومات ووصفها بل وظف أدوات التحليل والنقد في كثير من الأحيان، فهو غالباً ما يبرز قوته التحليلية التي أظهرت لنا صورة واضحة عن الجوانب العامة لعلمي الفقه والأصول من خلال تحديد تعريفهما ومدارسهما ومناهج التأليف فيهما، وكذلك بعض المسائل الجزئية، وهذا التحليل مفعم بالنقد والتقييم، ومن أمثلة ذلك:

- انتقد ابن خلدون أصول بعض المذاهب كمذهب الشيعة والخوارج والظاهرية، حيث انتقد عقيدة الطعن في الصحابة والقول بعصمة الأئمة، كما انتقد الظاهرية في اعتمادهم المفرط على ظاهر النص ومخالتفهم وشدتهم على بقية العلماء[17].

- انتقد ابن خلدون المختصرات ووصفها بأنها فساد للتعليم ولا تناسب الطالب[18].وهو بهذا يوافق رأي أستاذه المقري الجد التلمساني الذي انتقد بشدة أسلوب المختصرات الذي يجعل الطالب يحفظ دون فهم ويستغرق وقتاً في فك رموز الاختصار[19] .

- انتقد ابن خلدون كثرة التأليف لدرجة الفوضى خاصة في المذهب المالكي، وعقد في ذلك فصلاً سماه "في أن كثرة التآليف في العلوم عائقة عن التحصيل"، وانتقد فيه كثرة التأليف عند المتأخرين لدرجة التكرار والتداخل الذي يخلط الأمور على الطالب، فاختلاف مناهج التأليف وتداخل المصطلحات من شأنه أن يضيع الكثير من الوقت للطالب حسب رأي ابن خلدون، وضرب مثلا في الفقه المالكي حيث كثرت الشروح على المدونة والتهذيبات والملخصات والمقدمات...، وتعددت الطرق في ذلك من قيروانية لقرطبية، لبغدادية، لمصرية، وهي مليئة بالتكرار والمعنى واحد، والعمر ينقضي في

(17) مقدمة ابن خلدون، ص467-468.

(18) مقدمة ابن خلدون، ص605.

(19) أبو العباس الونشريسي: المعيار المعرب، تحقيق: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1401هـ/1981م.ج2، ص479-480. ونيل الابتهاج: أحمد بابا التنبكتي، ص414-415.

دراسة الواحدة منها على حد تعبير ابن خلدون [20]، وقد اتبع في هذا رأي أستاذيه الآبلي والمقري الجد اللذين صرحاً أن كثرة التآليف أفسدت العلم، قال الآبلي:" إنما أفسد العلم كثرة التآليف وأذهبه بنيان المدارس" فقال المقري:" وإنه لكما قال"[21].

ب. استعمال ابن خلدون للمنهج التاريخي في دراسة الفقه والأصول:

تتميز مقدمة ابن خلدون بصبغة تاريخية، فهو يعالج القضايا من منظور تاريخي، لذلك كانت دراسته للفقه وأصوله ترتكز على التاريخ، لذلك تناول تاريخ الفقه وأصوله من زمن النبوة إلى زمنه -زمن ابن خلدون-، ودرس المذاهب والمدارس الفقهية والأصولية ومناهجها في التأليف.

جـ. تركيز ابن خلدون على الجغرافيا والسياسة في دراسته للفقه وأصوله:

ولم يهمل ابن خلدون الجانب الجغرافي بل وظفه جيداً فتحدث عن مناطق انتشار المذاهب الفقهية ومناهج التأليف، ووضح سبب اختيار المغاربة للمذهب المالكي، كما أشار إلى تأثير الدول على المذاهب ومن أمثلة ذلك المذهب الشيعي الذي توسع بتوسع الدولة الفاطمية وتراجع بتراجعها على حد كلام ابن خلدون[22].

د. واقعية ابن خلدون في دراسة مسائل الفقه وأصوله:

لقد تناول ابن خلدون الفقه والأصول بشكل مختلف عن المألوف في عصره، وكانت طريقته تتميز بالنظر في المسائل بواقعية باستحضار المعطيات التاريخية والسياسية والعمرانية، وهذا راجع إلى طبيعة كتاب المقدمة، وإلى طبيعة مؤلفه ابن خلدون الذي أثرت عليه الصنعة التاريخية والعمرانية والمنصب السياسي، وأذكر نموذجين لتأكيد هذه الحقيقة، كما يلي:

- تكلم ابن خلدون عن التقليد، وهو موضوع أصولي، والتقليد هو اتباع أحد الفقهاء، لم يتحدث ابن خلدون عن تعريفه وحكمه، وإنما تكلم عنه من جانب واقعي، فتكلم عن اقتصار الناس على المذاهب الأربعة، وبرر ذلك بتشعب العلوم المتعلقة بالفقه وكثرة

---

(20) مقدمة ابن خلدون، ص600.

(21)أبو العباس الونشريسي: المعيار المعرب، ج2، ص479. و أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص414. و المقري أبو العباس: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م. ج5، ص275.

(22) مقدمة ابن خلدون ، ص467.

المصطلحات واكتمال هذه المذاهب، وكذلك بسبب المكانة الكبيرة للأئمة الأربعة عند الناس، حتى أنهم منعوا تقليد غيرهم[23].

- كما تكلم ابن خلدون كذلك عن الاجتهاد، وهو عكس التقليد، ويُعدُّ من صميم مباحث أصول الفقه، لكن ابن خلدون درسه من زاوية واقعية تجمع بين السياسة الشرعية وأصول الفقه، حيث تحدث عن شروط المجتهد والفقيه الذي يصلح للشورى، فذكر بأن الفقيه الحقيقي هو حامل الفقه اتصافاً وتحققاً لا حفظاً للمسائل فقط، كما هو حال الكثير من فقهاء عصره، الذي اشتغلوا بحفظ الأقوال والآراء فقط بينما كان السلف يحملون الفقه اتصافاً وتحققاً[24].

هـ مَزْجُ ابن خلدون بين علم العمران ومسائل أصول الفقه:

إن كتاب المقدمة يدور حول العمران البشري وتأثيره على سلوك الناس، فقد جمع ابن خلدون الكثير من الأدلة التي تثبت أهمية علم العمران، ومن الأدلة التي استدل بها: بعض المسائل الأصولية التي قال عنها بأنها من جنس مسائل علم العمران، وذكر مسألتين وهما :مسألة إثبات اللغات ومسألة تعليل الأحكام:

- **مسألة إثبات اللغات:** وهي من المسائل التي تكلم عنها الأصوليون كثيراً عندما يدرسون مباحث دلالات الألفاظ، فقد أشار ابن خلدون لقول الأصوليين بأن الناس محتاجون للغة ليعبروا عن مقاصدهم لأنهم مفطورون على التعاون والاجتماع، وهذا جزء من علم العمران[25].

- **مسألة تعليل الأحكام الشرعية:** وهي أحد أهم مسائل علم الأصول والمقاصد أيضاً، وملخص هذه المسألة أن أحكام الشريعة معللة وما من حكم شرعي إلا له حكمة وراء تشريعه قد تكون معلومة أو مجهولة، فالشريعة منزهة عن العبثية، وقد ذكر ابن خلدون عدة أمثلة عمرانية لهذه المسألة، مثل: كون الزنا يؤدي إلى اختلاط الأنساب وفساد النوع، وأن القتل كذلك مفسد للنوع، وأن الخراب يؤدي إلى فساد النوع أيضاً، قال ابن خلدون:" وغير ذلك من سائر المقاصد الشّرعيّة في الأحكام فإنّها كلّها مبنيّة على المحافظة على العمران"[26].

(23) مقدمة ابن خلدون، ص461.
(24) مقدمة ابن خلدون ، ص237-238.
(25) مقدمة ابن خلدون ، ص51.
(26) مقدمة ابن خلدون ، ص51.

الخاتمة:

بعد ذكر كل هذه التفاصيل المتعلقة بمقاربة ابن خلدون في تناول الفقه وأصوله في مقدمته، يمكن تلخيص أهم النتائج المتوصل عليها فيما يلي:

- إن النشأة الأولى لابن خلدون تدل على معرفته الواسعة بالفقه والأصول، فقد بدأ بدراسة الفقه منذ الصغر، وأتم ذلك بحضور مجالس بعض الفقهاء في عصره، وتحصل منهم على إجازات في الفقه والأصول مكنته من تدريس هذين العلمين لبعض تلاميذه رغم عدم تفرغه واشتغاله بالسياسة.

- لابن خلدون رسالة في أصول الفقه يشرح فيها أرجوزة لسان الدين الخطيب في الأصول، وهذا يدل على أن له حظ من علم أصول الفقه، وللأسف هذه الرسالة مفقودة لحد الآن، وإلا كان الاطلاع عليها يكشف المزيد من التفاصيل في هذا الموضوع.

- تعلم ابن خلدون للفقه وأصوله منذ الصغر وتوليه لمنصب القضاء يدل على تمكنه من هذا العلم، لكنه مع ذلك لم يبلغ درجة الفقيه والأصولي المتخصص بسبب اشتغاله بالتاريخ والسياسة والعمران مختلفاً عن بعض معاصريه المشتغلين بالفقه والأصول كابن عبد السلام والمقري والشاطبي والشريف التلمساني وغيرهم ممن اشتغل بالتدريس والفتوى والتأليف الفقهي والأصولي.

- لقد درس ابن خلدون في مقدمته الإطار العام للفقه والأصول، فتكلم عن تعريفهما ونشأتهما وأشهر المدارس والمذاهب ومناهج التأليف، كل ذلك بشكل منهجي منظم يختلف عن المألوف في عصره.

- اعتمد ابن خلدون في دراسته للفقه وأصوله على الوصف والتحليل والنقد وتوظيف التاريخ والجغرافيا والعمران في مسائل الفقه والأصول، بطريقة مبتكرة وغير مسبوقة وغير مألوفة في عصره.

- وظّف ابن خلدون المنهج التاريخي عند دراسته للفقه وأصوله، فركز على تطور علم الفقه والأصول منذ زمن النبوة إلى عصره.

- ركز ابن خلدون على المصادر عندما تناول الفقه وأصوله، وهذا هو منهجه في التعامل مع جميع العلوم التي تناولها في مقدمته، حيث يركز في كل علم على كتبه المؤسِّسة والمطورة له.

- اهتم ابن خلدون بالجانب الجغرافي عند دراسته للفقه وأصوله، فتكلم عن انتشار المذاهب الفقهية ومبرراته واختلاف مناهج التأليف في الفقه والأصول باختلاف الأقطار.

- تناول ابن خلدون في مقدمته بعض مسائل الأصول والمقاصد في سياق استدلاله لإثبات علم العمران وأهميته، ومن هذه المسائل مسألة إثبات اللغات ومسألة تعليل الأحكام.

- مقاربة ابن خلدون في تناول الفقه وأصوله مختلفة عن مناهج الفقهاء والأصوليين، فقد ظهرت في ابن خلدون آثار الصنعة التاريخية، مما جعله ينظر إلى الفقه وأصوله بمنظور مختلف وممزوج بالتاريخ والجغرافيا والسياسة والعمران، وهذا لا شك أنه لون من الإبداع الخلدوني الذي لم يُسلط عليه الضوء بالقدر الكافي.

قائمة المراجع:

- ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ /2003م.
- ابن خلدون عبد الرحمان، رحلة ابن خلدون، تحقيق: محمد بن تاويت الطَّنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425 هـ /2004 م.
- ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون، تحقيق:خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط 2000م/1421هـ.
- ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ط1، 1424هـ /2004م.
- التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ليبيا، ط1، 1989م.
- العسقلاني ابن حجر، رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1418 هـ/1998 م.
- المقري شهاب الدين أبو العباس، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م.
- الونشريسي أبو العباس، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1401هـ/1981م.